سياسة عبد الملك بن مروان الإدارية

أ - تطوير الجهاز الإداري

اهتم عبد الملك بن مروان اهتماماً خاصاً بإدارة شؤون الدولة وقد تمثل ذلك في التحول من دائرة لا تتجاوز آفاق المجتمع القبلي إلى إطار المؤسسات الإدارية والحقيقة أن عبد الملك لم يكن رائد هذا الإصلاح الإداري في الدولة الإسلامية ، ولكنه تابع خطوات كان قد بدأها عمر بن الخطاب في هذا الاتجاه ، ثم معاوية بن أبي سفيان في مطلع عهد دولة الخلافة الأموية . لكن شهرة عبد الملك الإدارية مبعثها أن إصلاحاته سارت في اتجاهين : تطوير الجهاز الإداري وتنشيطه ، وتعريب الإدارة والنقد وهو ما يعرف بحركة التعريب.

ويبدو أن الدافع لذلك، الظروف السياسية والاضطرابات والحركات المناهضة للحكم الأموي التي شهدتها الدولة، وشلت طاقاتها، في أعقاب وفاة يزيد الأول مما انعكس سلباً على الجهاز الإداري فأصيب بالجمود، وحدا بعبد الملك إلى إعادة تنشيطه و تنظيمه وتطوير أساليب العمل فيه، بعد أن أدرك أنه لابد من قيام إصلاحات إدارية إذا ما أريد استيعاب مشاكل الشعوب التي تألفت منها الدولة ومعالجتها في الوقت المناسب بالإضافة إلى تحقيق الانسجام في إدارة الدولة . فاتخذت الدولة في عهده شكلاً لا يبعد كثيراً عن أشكال الدول المعاصرة . هذا وقد توزعت الإدارة في عهده إلى خمسة دواوين رئيسية تولت تصريف شؤون الحكم وهي : ديوان الخراج ، ديوان الجند ، ديوان الرسائل ، ديوان الخاتم وديوان البريد.

ب ـ حركة التعريب

(تعريب الإدارة) في عهد عبد الملك بن مروان

الواقع أن المهمة الكبرى التي نفذها عبد الملك بن مروان في حقل الإصلاح الإداري تلك التي أسفرت عن تعريب الإدارة، ومعها النقد كضرورة من الضرورات الواجب اتخاذها لإرساء قواعد الدولة على أسس متينة قوية، ذلك أن الدولة ، منذ عهودها الأولى ، لم تلتفت إلى خطة إعداد فئة من الموظفين وتدريبهم لتغطية الفراغ الإداري الذي واجهته ، بل انصبّت جهودها

على إنشاء جهاز عسكري قوي مكنها من تنفيذ سياسة الفتوح ، وقد اضطرت ، لتأمين أعمال الإدارة ، الاستعانة بموظفين غير عرب وغير مسلمين أحياناً من أهل البلاد المفتوحة من الذين سبق لهم أن مارسوا هذا النوع من الأعمال في مناطق النفوذ البيزنطى، باستثناء ديوان الجند ، الذي بقي محافظاً على طابعه وعمله العربي . وكانت اللغة التي لا تزال أداة الكتابة ، وتحرير المعاملات وتسجيل البيانات في دواوين الخراج هي لغة الموظفين أنفسهم الذين كانوا يجهلون اللغة العربية . نتيجة اختلاف لغات دواوين الخراج في كل منطقة ظهر اختلاف و تمايز واضحين بين أحكام الجزية والخراج وعشور الأرض وعشور التجارة في العراق وفارس عنها في بلاد الشام ومصر مما كان له أثر سلبي على نظام الدولة الاقتصادي وإدارتها المالية . وانطلاقاً من هذه المسلمات أمر عبد الملك عمال الأقاليم في العراق ومصر مهمة تعريب الدواوين في حين تولى بنفسه الإشراف على تنفيذ المهمة في بلاد الشام

وقد استغرقت هذه المهمة عدة سنوات حتى أضحت اللغة العربية ، لغة الإدارة الرسمية . وكان طبيعياً أن يعقب تغير لغة الكتابة تغير في أشخاص الموظفين ، فنشأت تدريجاً طبقة من الموظفين والكتاب العرب تولت أعباء مما حمله أسلافهم من غير العرب . والواقع أن خطوة التعريب هذه كانت هامة النتائج على الصعد التالية :

١ - سرعة انتشار اللغة العربية في البلاد المفتوحة .

٢ - إقبال سكان تلك البلاد على اعتناق الدين الإسلامي ، خاصة وأن اللغة العربية هي لغة القرآن ، وبالتالي للحفاظ على مصالحهم الخاصة .

٣ - صبغت الدولة بالصبغة العربية المحضة .